أبغض الحلال.. لماذا؟

جاء الرجل من أقصى القرية يسعى.. شاكيًا باكيًا.. لأنه تسرع واتخذ قرار طلاق لم تتوافر دواعيه.. وقلت له:

إن زوجتك لم ترتكب الفاحشة.. ولكنها الكلمة الطائشة.. جرت على لسانها.. فلم تستوعبها.. وكأن وزنك بين الرجال هو وزن هذه الكلمة العابرة.. الفائرة.. لأن الأمر كما يقولون:

الرجل يساوي الشيء الذي يغضبه!

وكلما كان الماء في الإناء قليلاً.. كان أسرع إلى الغليان.. وهكذا أنت:

لقد كان نصيبك من التعقل قليلاً.. ففعلت فعلتك التي فعلت.. ثم صرت من النادمين. وأنا أعرف أن زوجتك «بيضة مكنونة».. لكنك لما لم تستطع أن تضعها في مكانها برفق.. فضلت الأسهل.. فكسرتها.. فخسرتها!!

●●●

ولكن.. يجب أن تعلم أن قرار الطلاق شرر متطاير.. واسع.. بعيد الأثر.. وأنت أول المتضررين.. وإذا كنت في لحظة الغضب تحاول أن تداري عيوبك بعيوب غيرك.. فاعلم أنك عندما تحاول أن ترمي غيرك بالوحل.. فلا تنس أن يدك سوف ينالها كفل من هذا الوحل أولاً!.

●●●

إن ضرر الطلاق عائد على كل أطراف القضية:

الزوج . . والزوجة . . والذرية . . والمجتمع :

لقد صرت بهـذا الطلاق حديثًا مسليًا لجيـرانك في البيت . . وزملائك في العمل . .

وفي اللحظة التي تحـاول فيهـا الدفاع عن نفـسك . . فسوف لا يـقتنع الرفـاق بقولك . . لأنك تلح في إثبـات أن مطلقتك لم تكـن مثاليـة . . في الوقت الذي لم تكن أنت فيه مثاليًا!!

وفاتك أن تتأمل قول العقلاء :

(فإن كرهتـموهن . لدمامة أو سـوء خلق . من غير فاحـشة أو نشوز . فهذا يندب فيه الاحتمال .

. فعسى أن يئول الأمر إلى أن يرزق الله منها أولادًا صالحين) .

يقول (عز وجل) :

﴿ وَعَاشِرُوهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

والآية الكريمة تصون الحقوق . . وتدرأ المفاسد . . وتحذر من التسرع في هدم المعبد على رءوس من فيه . . ثم تحدد الآية الكريمة مسئولية الزوج في :

أ ـ الإنصاف في المبيت . وفي النفقة .

ب ـ ثم الإجمال في القول .

فإن آثرتم الفراق . . حيث تعذر الوفاق . .

إذا لم يتسع قلـبك لزوجتك . . فليتـسع لها عقلـك . . وأمسك عليك زوجك واتق الله !

﴿ فَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا ﴾ [النساء : ١٩] .

عـسى الله أن يرزقك الله منهـا الولـد الذي به تنبـعث عـاطفـة الحب

الغائبة، أو المغيبة!

ولعل صبـرك أن يدخر لك عند الله ثـوابًا عظيمًا.. وتـأمل الآية مرة ثانية.. فإنها تقول لك:

إن ما تكرهه من زوجـتك.. عسى أن يكون هو بالذات خـيرًا لك.. والخيرة فيما اختاره الله (تعالى) لنا.. لا فيما نختاره لأنفسنا..

وقد تملك من الجمال قدرًا ضئيـلاً.. لكن ضآلة النسبة قد تكون خيرًا لك ولزوجك.. إذا ما أصـخت السمع إلى تلك المعـارك الدائرة بين جارك وزوجته الصارخة الجـمال.. والتي تفجرها الغيرة تفجـيرًا.. لقد أعفاك الله من آصارها!

وكان عليك أن تصبـر.. ثم تصطبر عليها.. فالدواء قـد ينبعث يومًا من مكمن الداء!

●●●

أما أضرار الطلاق على زوجتك

فإن الواقع يقول لك:

إذا احتميت أنت برجولتك.. وبالقدرة على الدفاع عن نفسك.. فإن الزوجة دائمًا في الموقف الضعيف:

فسوف تتحرك الألسنة متسائلة:

لماذا طلقها؟

وسوف تتـعدد الاجتـهادات.. التي تنتهي إلى مـا ينسجم مع طبيـعة الفضوليين وهو:

ما طلقها إلا لريبة فيها...

ويكفي ذلك.. ليكون مانعًا من الإقبال عليهـا لا ستئناف حياة جديدة

مع زوج آخر . . في الوقت الذي تستطيع أنت أن تبني عشًا جديدًا!

●●●

وأما بالنسبة للمجتمع:

فسوف يحدث خلل في بنائه . . بسبب من هذا النشاز في اللحن المتناسق:

بسبب رجل لم يكن حريصًا في الاختيار . . ولم يكن أحرص في حال التغيير . . فواجه بالتسرع سوء المصير.

●●●

أما الأولاد:

فسوف لا يغفرون لأبيهم نزوته الطارئة . . والطامحة إلى حبيب جديد . . وفي الوقت الرديء . . ثم ضن عليهم . . فلم يتنازل عن وهم المتعة التي يرجو . . وآثر أن يفتت الشمل الجميع!

●●●

ألا إن مشكلة الزوجين قد تنتهي بالطلاق . .

ولكن المشكلة الكبرى هي الأولاد الذين قد يكونون ذكورًا . . وهذه هي الخسارة . .

وقد يكن إناثًا . . وذلك هو الخسران المبين.

الزوجة والعودة إلى العش المهجور

حاول المغرضون أن يتخذوا من تشريع الطلاق هدفًا لهم:

فزادوا فـي الكلام عنه وعادوا.. زاعـمين أنه سلاح ضـد المرأة في يد زوج يفضل حل الخلافات الزوجية بأسلوب المصارعة اليابانية!

ولقد كان لهذه الحملة الظالمة آثارها حتى سمعنا من تقول:

[إن الزوجة سمكة في بحيرة.. تعيش مع تمساح جائع!:

إنه يدخل بيت الزوجية بإحساس رجل جائع يدخل مطعمًا:

فيتعامل مع زوجته كالدجاجة المشوية:

يتلذذ بهـا .. ثم يشبع.. وبعـد ذلك يلقيـها فـضلات.. دون أدنى شعـور منه بالامتنان «لقطعـة اللحم هذه» والتي أمدته بالفـيتـامينات.. بل بالحياة!].

●●●

وعلى أرض الواقع مزدجر لهذه النزعة المتجنية.. والتي تريد أن تجعل من الشاذ قاعدة لا تناقش..

وإلا.. فقد سمعنا وقرأنا عن أزواج أوفياء يقول أحدهم:

ويبـيت بين جـوانحي حب لهـا لو كـان تحت فـراشـهـا لأقلهـا

ولعـمـرها: لو كـان حبـي فوقـهـا يومًا وقـد ضحـيت.. إذن لأظلها!

إن عشرة العمر الطويلة.. لم تجفف نبع الود الذي يظل رصيده يتنامى مع الأيام!

ألا وإن الواقع الماثل أصدق إنباءً من فلسفة واهمة.. تريد أن تجعل من المزاج الفردي حكمًا.. لا معقب لحكمه.. ومن الأهمية بمكان أن نناقش المغرضين الحساب.. هؤلاء الذين يتهمون الإسلام صادرين عن حقد دفين..

نقول لهم:

إن الإسلام حين شرع الطلاق.. لا يهش له.. وإنما يشرعه وعلى مضض.. بعد استنفاد كل الطرق السلمية.. ليكون آخر الدواء الكي.

ثم إن هناك فترة متطاولة.. هي مدة الرجعة التي يلزم بها الطرفان.. فلعل العقل أن يصحو خلالها.. حتى تعود المياة إلى مجاريها.. أي أنه لا ينتهز الفرصة ليحكم بالفراق الأبدي منذ اللحظة الأولى.. ولكنه يراقب.. ويتابع.. فلعل الود القديم أن ينبعث من جديد..

ثم إن الزوجة لا تخرج من العش طائرًا مقصوص الجناح.. ولكنها تخرج مرفوعة الرأس.. مرشحة لاستئناف الحياة مع زوج جديد.. بنفس القدر الذي أتيح لمطلقها..

يقول صاحب المنار:

(إن في الطلاق غضاضة وإيهامًا بأن الزوج ما طلقها إلا وقد رابه شيء منها.

فإذا هو متعها متاعًا حسنًا.. تزول هذه الغضاضة..

ويكون هذا المتاع الحسن بمنزلة الشهادة بنزاهتها.

والاعتراف بأن الطلاق كان من قبله.. لعذر يختص به هو.. وليس من قبلها.

لأن الله قد أمرنا أن نحافظ على الأعراض بقدر الطاقة، فجعل هذا

التمتع كالمرهم لجرح القلب).

●●●

أما كون الطلاق بيد الرجل.. فهو إجراء لمصلحة الطرفين على سواء:

١ ـ فالرجل يحكم العقل.. الذي يفر به من التهور.. فلا يقع فريسة في قبضة الهوى.

٢ ـ ثم إنه المسئول عن السكن والنفقة لكي يجدد الفراش لو تم الطلاق.

وقد لا يكون ذلك متاحًا له.. فلعله أن يرتدع.. وقلم أظفار الشهوة التي تقض مضجعه.

ثم إن السنة تأمره بألا يطلق إلا في طهر لم يجامعها فيه.. مما يحمله على إرجاء الطلاق.. وربما خفت حدة التوتر في قلبه.. فراجع حساب ربحه وخسارته..

●●●

وفي زمن «العدة» المتطاول يمكن للزوجة أن تستأنف جهادها في محاولة لرأب الصدع.. على الأقل من أجل صغار زغب الحواصل:

إن ضمتهم إليه.. ضاعوا..

وإن ضمتهم إليها.. جاعوا...

إن المعركة اليوم سلمية.. لا تحتاج إلى عقول مشتعلة.. بقدر حاجتها إلى قلوب دافئة:

وعندما احتدم النقاش بين الزوجين.. كان هناك غبار مانع من رؤية الأشياء كما هي..

أما اليوم.. وفي فترة «العدة» يمكن للزوجة أن تفعل شيئًا:

لقد مضى الغضب.. الذي انطفأ به نور العقل.. فكان الطلاق..

ونظلم أنفسنا حين نسمح لجمرة الحقد أن تتخلق فينا.. لنطفئ نور القلب!

إن علم النفس يقول:

كل زوج.. مهما كان موقعه في السلم الاجتماعي.. يستشعر الزهو.. إذا سمع «مطلقته» بالذات.. تفخر به وتشيد بمآثره..

فلتحاول الزوجة استغلال هذا الدافع الفطري.. وإذا كان الفعل الذي أساء واحدًا.. فهناك من أخلاقه.. ألف شفيع!

●●●

إن «المعتدة» تركب الزورق الذي يوشك أن يرحل.. وعليها أن تتصرف.. قبل أن تذهب الفرصة ولا تعود..

●●●

إن الإنسان لا يصعد الشجرة.. لمجرد أنه ينظر إليها.. ولكن.. لا بد أن يدفع الثمن.. ليكون فوق الشجرة أو فوق المدفع!

إن الأصدقاء كانوا يتجولون في الأسواق لمجرد أن يسأل الصديق صديقه: كيف حالك؟ ليكون جوابه: الحمد لله.. فيكون سببًا في زيادة رصيده من الطيبات..

ثم كان الصديق ـ وهو يمر بأزمة مالية ـ لا يلح في الطلب حتى لا يورط صديقه لم يلب حاجته.. وكم يكون حق الزوج هنا؟

إنه لأجدر بالزوجة أن تتحرك.. قبل أن يتحرك الزورق..

ليعود الشمل كما كان جميعًا.. وليكون في نفس الوقت أجمل هدية إلى صغار يعيشون اليوم أجمل انتصار.

قد تذبل شجرة الود لكنها لا تموت

يقول الله (عز وجل)

﴿ وَبُعُولَتُهُنَّ أَحَقُّ بِرَدِّهِنَّ فِي ذَلِكَ إِنْ أَرَادُوا إِصْلاحًا.. ﴾ [البقرة: ٢٢٨].

هذا هو فارس الأحلام قادم.. يمتطي صهوة جواد أبيض.. كما تصورته البنت.. زمان!

ومع فارس الأحلام.. طاب الكلام.. وطاب المقام.

●●●

ثم تبدأ المعاشرة بالمعروف.. والمعاشرة تعني الإحتكاك..

ومعنى الإحتكاك: أن تنطلق ـ كما يقول الأدباء ـ شرارة.. شرارة تضيء.. وتحرق..

ثم تبدأ المشكلات.. مع غروب الشخصية الوردية لفارس الأحلام.. وفي أغلب الأحيان تكون المشكلات سهلة.. ميسورة الحل.. ولكن بعض الناس لا يملكون من الشفافية ما يستعلون به على الواقع الطارئ... ثم.. تجيء ساعة الصفر.. ويتفق الطرفان على.. على الطلاق!

●●●

ولكن الإسلام المسماح.. يبقى على الباب مفتوحًا.. ليظل طريق العودة لاحبًا..

فقد يكون هناك تحت الرماد.. ومِيض نار!.. لعل هناك في القلب من الود القديم بقايا.. تؤكد أن ذلك الود.. وإن تجمد يومًا.. فإنه.. لا يموت أبدًا.

إن الإسلام متـحيز للعلاقة القديمة أن تعـود. . بل وأقوى مما كانت. . والإصلاح. . إصلاح العلاقة الأولى. . أولى من السراح!

الإبقاء على الزوج الأول. . أفـضل من الاستفتـاح مع زوج جديد. . ذلك بأن تذكر الماضي مع الزوج الجديد. . يفسد الحاضر. .

طبق القاعدة القائلة: (تذكر الماضي. . يخل الحاضر)

ونستمتع الآن بما قاله صاحب المنار هنا. .

(هذا لطف كبير من الله (سبـحانه وتعالى). وحرص من الشارع على بقاء العصمة الأولى.

فإن المرأة إذا طلقت لأمر من الأمور. . فقلما يرغب فيها الرجال. وأما زوجـها المطلق. . فـقـد يندم على طلاقهـا. ويرى أن مـا طلقهـا لأجله لا يقتضي مفارقتها دائمًا. فيرغب في مراجعتها.

ولاسيما إذا كانت العشرة السابقـة بينهما جرت على طريقتها الفطرية: فأفـضى كل منهما إلى الآخـر بسره. حـتى عرف عجـره وبجره. وتمكنت الألفة بينهما.

وإذا كانا قد رزقا الولد. . فإن الندم على الطلاق يسرع إليها.

لأن الحرص الطبـيعي على العناية بتربيـة الولد وكفالته بالاشـتراك. . تغلب. . بعد زوال أثر المغاضبة العـارضة على النفس. وقد يكون أقوى إذا كان الأولاد إناثا.

لهذا. . حكم الله (تعـالى) لطفًا منه بعـباده. . بأن الزوج أحق بردها في زمن العدة.

وفي هذا بيان حكمة أخرى للعـدة ـ غير تبين الحمل أو براءة الرحم ـ وهي: إمكان المراجعة.

نعلم بذلك أن تربص المطـلقات بأنفـسهن: فـيـه فائدة لهن. وفـائدة لأزواجهن)

●●●

وقد كان توجـه المستبصرين من الفـقهاء ماضيًـا على هذا السنن تأكيدًا للأمل الوطيد في العود الحميد.

وإذا كان الإمام مالك يقول عن زوج المعتدة:

(لا يدخل عليها إلا بإذن. ولا ينظر إليهـا إلا وعليها ثيابها. ولا ينظر إلى شعرها. ولا يبيت معهـا في بيت).. إذا قال الإمام مالك ذلك.. فإنما هو في الأساس صيانة للمرأة حتى لا تمتهن..

ثم هو لا يقطع خيط الوصال تمامًا.. حين يسـمح له بمؤاكلتها إذا كان معها غيرها.

●●●

أما الإمـام أبو حنيفة فقـد وسع الدائرة حين أباح للمطلق أن ينظر إلى معتدته:

(فيجـوز له أن يرى شيئًا من مـحاسنها. وأن تتزين لـه.. أو تتشوف).. وربما كانت هناك نظرة.. تهدي إلى الوجه نضرة!

●●●

ولكن.. لماذا كان الزوج أحق بالرجعة:

أولا: لأنه «البعل» والبعل هو السيد المالك..

المالك أعصابه: المتـحكم في جهازه العصبي.. أما «هن» فـيتمنعن.. وهن الراغـبات.. وقـد تأخذ العـزة بالإثم هذه المعتـدة فتظلم نـفسـها.. وغيرها.. حين تنطلق ضد مصلحتها.. إرضاء لهواها عينها بينما في بعلها!

وهن . . بنص الحديث الشريف: «يكفرن العشير» . . تحسن إليهن أعواما . . ثم يذهب الجحود بهذا الإحسان في لحظة من زمان!

●●●

وثانيًا: هو صاحب الأرض . . وحامي العرض:

والطلاق ابتداء . . حقه . . لا حقها: يقول المفسرون:

(لأن من عرف أن حقله غير مناسب للزراعة . . لا ينبغي أن يرغم على الازدراع في حقل لا يناسب الزراعة.

ويوضح هذا المعنى:

أن آلة الازدراع بيد الرجل:

ولو أكره على المباشرة . . ما استطاع . فلا نسل . ويخرب العالم.

أما لو أكرهت . . لجاز ذلك).

●●●

ومن حقوقه هنا:

(الاستغناء في المراجعة عن الولي . وعن رضاها . وعن تسمية المهر . وعن الإشهاد على الرجعة . . على الصحيح) إنه الأحق بالرجعة . . بمعنى:

أنه إذا أراد الرجعة . . ورفضتها هي . . أخذ برأيه . . لا برأيها . .

والنتيجة في النهاية لصالح الطرفين معًا!

●●●

لكن ذلك الحق غير مطلق . . وهو مقيد بإرادة الإصلاح:

فقد يبيت الزوج نية العدوان:

بالانتقام منها . .

أو منعها من الزواج بآخر . . جاعلاً منها المعلقة المعذبة بهذا الوضع

المهين.. إرضاء لكبريائه المزيف..

ألا فيـعلم أن الله (تعالى) مـعهـا.. عليك.. وويل للذين يعـرضون أنفسهم لسهام الأقدار.. التي لا تخطئ الهدف أبدًا:

إن لم يكن اليوم.. فغدًا.

والحكمة تقول:

لا ترم سهمًا... لا تملك إزجاعه!

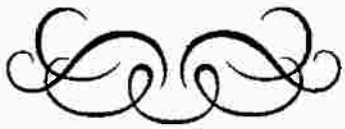

المطلقة في منطقة شبه الظل

يقول (عز وجل):

﴿لِيُنفِقْ ذُو سَعَةٍ مِّن سَعَتِهِ وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا﴾ [الطلاق: ٧].

لا تنتهي العلاقة الزوجية بالضربة القاضية !.. وإلا كان المطلَّق كما يقول الفلاحون الطيبون: «عدو.. ينتظر نائبة» بمعنى أنه يتربص بغريمه المصائب.. فإذا سنحت الفرصة انتهزها كأنها بعض أمانيه!

●●●

ولكن الإسلام.. ومن خلال هذه الآيات الكريمة.. يشير إلى إن للعلاقة جذورًا ضاربة في الأرض.. لا تقتلع هكذا وفي لحظة طارئة.. ومن أجل ذلك.. لا تكلف المطلّقة بالخروج فور كلمة طلاق غير مأسوف عليها. من الظل الظليل.. إلى وهج الظهيرة.. وإنما تبقى.. في بيتها.. مكفولة الرزق.. موقورة الكرامة.. إعلامًا بأن الأمر ليس شركة تجارية تنفض في لحظة واحدة:

وإنما هي عزة الإنسان.. التي هي فوق انفعالاتنا.. ونزواتنا.. وعلى كل الأطراف المعنية أن تتوقف.. ثم تراجع نفسها فلعل الله (تعالى) أن يجعل.. بعد عسر يسرا..

وإذا توترت الأعصاب يومًا بوسوسة الشيطان المريد.. فلنفسح من بيوتنا وقلوبنا.. لرفاق الأمس.. فلعل الله يحدث بعد ذلك أمرا.

●●●

وتوكيد لهذا المعنى: أُمر المطلِّقون بالإبقاء على المطلقة في بيتها حتى تنتهي عدتها..

ولكي تظل في البيت مصونة.. يجب عليه أن ينفق عليها.. صيانة لها من التبذل في طلب لقمة العيش.. وفرارًا بها من القيل والقال.. ولو أنها مشت في الأسواق.. وما يثيره من شبهات.. وتقولات.. قد تسد طريق العودة إلى زوجها.. تارة أخرى.

●●●

ومضيًا مع حكمة الإسلام في أنه: لا ضرر ولا ضرار.. فإن المطلق مأمور بهذا الإنفاق.. على قدر طاقته:

فلينفق ﴿.. مِن سعته﴾:

على قدر إمكاناته المتاحة..

لا تسرق.. لتوفر لها لقمة العيش.. ولا ترهق نفسك بالعبور إلى ما وراء حدود مملكتك المتواضعة.. خارج «سعتك» فليس من الإنصاف أن نريح طرفًا على حساب غيره..

وإذ يحرص الإسلام على الترفق بالمطلَّق فليس ذلك انحيازًا له. وإنما كل ذلك مقصود به إتاحة فرصة العودة بمثل هذا التيسير الذي يتيح للنفوس فرصة المراجعة.. في جو نظيف.

●●●

ثم إن ما تؤمر بإنفاقه ليس مالك.. وإنما أنت حارس.. خازن أمين.. وصاحب المال (سبحانه) هو الذي يأمرك بالإنفاق من ماله (عز وجل)..

ثم هو (عز وجل) لا يأمرك بإلقائه في البحر.. أو تذريته في الجو

وإنما يتلطف بك لتنفقه على الصاحب بالجنب. . وفاء للعشرة. .

●●●

ومما يحملك على الإنفاق والتسامح فيه. . ما تعلمه من وقائع التاريخ الشاهدة بذلك:

(فقد فتح الله عليكم جميع جزيرة العرب. . ثم فارس والروم: أطحتم بهذه. . وأزلتم تلك. . ثم فزتم بكنوزها حتى صرتم أغنى الناس. .)

وإذن. . فأنفق ولا تخش من ذي العرش إقلالا. . فغدًا تكون السعة. . بعد الضيق. . والغنى بعد الفقر. .

ومن صور السعة والغنى.. أن تعود إليك مطلقتك أسلس ما تكون قيادًا.. بعدما أوسعتك بالأمس عنادا.

●●●

وإذا كان الإنفاق على من لا تباشرها. . عطاء بلا ثمن. . فإنها فرصة للتدريب على «السعة» النفسية. . قبل السعة المالية. . فليتسع صدرك ليتقبل عودتها. . فلعل العود أن يكون حميدًا سعيدًا.

●●●

أما من قُدِر عليه رزقه. . فضاق عن تغطية كل احتياجاتها. . فلا تثريب عليه. . فقد تصرف في حدود استطاعته. . وما فوق ذلك يكون تكليفًا بما لا يُقدر عليه.

●●●

ولاحظ من بلاغة الآية الكريمة:

أن الله (تعالى) ـ في حال تضييق الرزق ـ يبني الفعل للمجهول هكذا

﴿وَمَن قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ﴾ [الطلاق: ٧].

وفي حال العطاء.. يقول (عز وجل): ﴿فَلْيُنفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ﴾ [الطلاق: ٧].

إنه التلطف بالعبد وبخاطبه في ساعات الضيق: ففي حال العطاء.. يظهر الفاعل.. أما إذا كان الأمر مؤلمًا للعبد فإنه (تعالى) لا يواجه عبده الضعيف.. بما يحزنه..

وإذا كان ذلك كذلك.. فليعامل المطلق الزوجة باللطف والإحسان.. ليكون عونًا لها على ريب الزمان.

●●●

ومن تلطفه بها أن يعيد مراجعة الموقف كله.. ليخرج بالتأمل من الخيال الذي يعيشه.. إلى الواقع الذي يرفض أن يعيشه!

وليحاول إقناع نفسه بأنه مسئول معها عن كل ما انتهى إليه نزاعهما.. وأنّ عليه أن يكون زوجًا ناجحًا.. قبل أن يطلب من غيره أن يكون كذلك.. وإذا كان يطلب الزوجة المثالية.. فهل هو مثاليّ؟

ونذكر هنا واحدة من تجارب غيرنا:

فقد تفرغ وزير العمل في دولة غربية لتربية طفليه بعد نجاح عشرِ سنوات في عمله.. وثقة رئيسه به.. وفضَّل في النهاية أن يكون زوجًا ناجحًا.. على أن يكون سياسيًا لامعًا!

●●●

ثم على الزوج إدراكُ طبيعة المرأة وجوهرها مما يعين على الوفاق بعد الفراق. بمزيد من مشاعر الإشفاق

هذه الطبيعة التي قال فيها النبي(ﷺ): «**إن النساء خلقن من ضلع**

أعوج وإن أعوج شيء في الضلـع: أعلاه: فإن ذهبت تقيمـه.. كسرته.. وإن تركته.. لم يزل أعوج.. فاستمتعوا بهن على عوجهن».

●●●

وكما ظفـرت بها أولاً.. فاظفر بها اليـوم.. وهي بين يديك.. وقبل أن يظفر بها غيرك.. بعدما تذهب الفرصة.. ثم لا تعود.

●●●

أما بعـد: فقد زعم بعض المسـتشرقـين أن الطلاق.. طرد للزوجة.. خارج البـيت، ولكنه في الحقيـقة إنهاء لعـقد الزوجيـة. ثم لا يتم إلا بعد محاولات ومداولات تستنفـد كل وسائل الإصلاح.. فإن لم يكن صلاح.. فلا جناح.

الزوجة ... ومبادرة الصلح

يقول الله (عز وجل):

﴿ وأتمروا بينكم بمعروف .. ﴾ [الطلاق: ٧].

بعد أن أرسلت الزوجة إلى زوجها «قصيدة» أفرغت فيها كل أمانيها.

عاد الطير المهاجر.. عاد الزوج إلى بيته مستجيبًا لنداء الزوجة التي وصلت رسالتها العاتبة الغاضبة إلى سويداء قلبه: هذا القلب الذي تفجر نهرًا بعد أن كان حجرًا!

وقد حدث بعد نشر قصيدتها أو رسالتها أن هبت عاصفة من قِبَل بعض النساء اللاتي انحزن لها.

والحمد لله أن هبوب العاصفة كان.. بعد أن عاد الزوج فعلاً إلى البيت.. فلربما كان حدث ما لم تحمد عقباه.. لو هبت العاصفة قبل أن يتخذ الزوج قرار العود الحميد.. عنادًا وتحديًا..

●●●

ومن تدبير الله (تعالى) أن وقفت الزوجة العاتبة نفسها تشكر الزميلات المجاملات الغاضبات.. راجية إغلاق ملف القضية. فقد عادت المياة إلى مجاريها.. وهذا ما قالته شعرًا أيضًا:

فتيات مصر تحية ... أنتن ربَّات العزائم
إني أَدِينْ بعطفكن ... وشكركُن عليَّ لازم

ثم عززت ذلك بقولها:

يا سيداتي الفضليات: لكُنَّ حق الشكر .. دائم
قد عــاد لي زوجي الكريمُ.. وجــاء يقرع سنَّ نادم
من بعدما قدَّرت أن رجوعه أضغاث حـــــالم
والحُرُّ يرجــع.. حين يعلم أنه في الحـــــق آثم.

●●●

وقلت لصديــقي تعليقاً علــى إعلانها رجــوع زوجها. .إنــها هي التي رجعت إليه باستــعطافها له.. فكانت صاحبة مبادرة الصلح ولا يضيرها أن كانت البادئة بالكلام.. فــخيرهما الذي يبدأ بالسلام.. فــإذا كان المبدوء هو الزوج.. فأنعم بها مبادرة للسلام.

لقد وضَّحت الزوجة هنا أبعاد معنى المودة في قوله (تعالى): ﴿وجعل بينكم مودَّة ورحمة﴾ [الروم: ٢١].

وعلاقة المودة بين الزوجين تتميز عن غيرها من العلاقات: فهي باقية ما بقى الرجل رجلاً.. وبقيت الأنثى أنثى.. كما يقول العارفون المجرّبون.

فطالما بقى إحســاس الزوجة بأنوثتــها وضعــفها قــائماً.. فإن جسور التفــاهم تظل قائمــة على أصولها.. ليــعود الصفــاء من فوقــها إلى قلوب المختلفين.

أمَّا لو ترجَّلت الأنثى.. متــمردة على طبيعتهــا.. فإن هذا الود سوف يخرج.. ثم لا يعود.. وكيف يعود في الوقت الذي يركب كل طرف رأسه زاعماً أن الكل سواء.. ومما يخدش الكرامة أن نبدأ أحبَّاءنا بالكلام!

●●●

إن هذا الود قد «جعلهُ» الله (تعالى).. وما جعله (سبحانه) لا يغيب

وقد تسألني: لكنه قد يذهب بالطلاق؟

وأقول لك:

إنه لم يذهب بالطلاق. لأن الطلاق هو الضربة الأخيرة التي سقط بها القصر المُنيف.. ولكن الضربات قبلها مسئولة عن انهيار البنيان الشاهق من علٍ.

ومن هذه الضربات السابقة تجاوزات الزوجين على مدار الأيام: والتي تراكمت حتى صارت من «قشٍّ وطين» ثم صارت عبرة للمعتبرين!

إن «الود» رزق من الله . وعطاء غير مجذوذ.

وإذا كان رزقنا المادي حاضرًا مصونًا.. وفي السماء.. حتى «ندب» لنصل بالدبيب إليه.. فكذلك «الود».. وهو رزقنا المعنوي.. حاضر.. مصون.. لكننا نتصرف مصرِّين أن نمضي بتجاوزاتنا عكس الاتجاه؟!

فكيف نحصل على مودتنا.. على رزقنا.. ونحن بالعناد نسحب رصيدنا منه وبلا إيداعات جديدة تنمِّيه وتزكيه؟[1].

●●●

لقد أحسَّت الزوجة الشاعرة أن رفيقها الغاضب.. قد أخذته العزة بالإثم.. والحكمة تقول: إذا عز أخوك .. فهن..

واستعطاف الزوجة ليس هوانًا..

فقد يكون وليد دراسة ميدانية.. ظهر بها أن الزوج يُفَضل الأوهام تناوشه.. على الواقع المُعاش فعلاً.. فقررت ألا يفلت الصيد من بين

---

(١) قد لا تكون «فصيلة الدم» متوافقة مع سلامتها في ذاتها.. فالدم صالح.. فالود موجود.. لكن «الفصيلة» في الإثنين سالبة.. أو موجبة.. ومن الإبقاء على الود أن يتفرقا ليغني الله كلا من سعته بمن يشاكله؟!

يديهـا . . فصـبت كل أشجـانها على الورق شـعرًا . . ردَّه سـالمًا من سكرة الأوهام . .

وقد يسعفها الواقع الماثل بما يفرض عليها أن تبدأه بالكلام :

فلقد يكون «عجوزًا» إلا أنه مغرم بالفتاة الصـغيرة زاعمًا أنه بها ومعها يستـرجع شبابـه الغارب . . وهكذا . . كلما «هَرِمت الأسـنان» تَطلَّب الأمر صغار الحُملان ! !

●●●

ولقد أدركت عِوَج الحاضر وخطورة المستقبل حيث النار تندلع . . والماء ينقطع . ثم راجعت نفسها التي وجدتها :

دجاج : ـ مع الفارق طبعًا ـ

وللدجاجة جناحان . . ولكنها لا تسـتطيع الطيران إلا في مجال الأسرة الجوي ! . وتحت سقف البيت . . وفي ظل رجل تطارحه الهوىٰ . هو زوجها الحلال .

وإذن . . فالشجـاعة الأدبية تفرض عليـها أن تفعل ما تظنـه الزميلات خطأ . . وكانت بمبـادرة الصلح مُبَـرأة من الملام . . مُرَشَّحـة بوفائهـا لتصنع الوئام بديلاً للخصام .

لقد كانت كما قال الأدباء :

(لا أحد يحاسب صحراء العطش . إذا توحَّمت على قطرةٍ من الماء . .

ولا أحد يحاسب جائعًا . . يحلم بسوق الخبز) .

لا أحد يحاسب زوجة سويَّة ذكية تفرد شراعها في الاتجاه الصحيح . . غير مصغية إلى غضب الغاضبين العاذلين . .

فمن كانت يده في النار . . ليس كمن كانت يده في الماء !

والأطفال: لمبتهجون اليوم: هم أطفالها هي..

والزوج العائد العائد هو زوجها هي..

والنار لا تحرق إلا من أمسك بها..

وقد أحرقتها هي وحدها.. نارُ العزلة والاغتراب.. فقررت بالعفو أن تضع حدًا لهذا العذاب.

فليحذر الذين يخالفون عن أمر الله

يقول الله (عز وجل):

﴿ وَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ عَتَتْ عَنْ أَمْرِ رَبِّهَا وَرُسُلِهِ فَحَاسَبْنَاهَا حِسَابًا شَدِيدًا وَعَذَّبْنَاهَا عَذَابًا نُّكْرًا * فَذَاقَتْ وَبَالَ أَمْرِهَا وَكَانَ عَاقِبَةُ أَمْرِهَا خُسْرًا ﴾ [الطلاق: ٨، ٩].

تصوروا دارًا غائبة هناك في شعاب الوادي.. رزقها يأتيها.. يأتيها رغدًا من كل مكان وفجأة قرر سيد البيت أن «يغير الفراش» في الوقت الذي كانت فيه ربة هذا البيت على غاية ما تكون من الوفاء والولاء..

ومع أنها دار بين ملايين الدور.. ومع أنه زوج من ملايين الأزواج.. إلا أن هذه الدار وإن لم يرها أحد.. وأن أنين الزوجة.. وإن لم يسمعه أحد.. فإن عرش الرحمن ليهتز رحمة بهذه الزوجة التي قرر زوجها أن ينقض غزل البيت من بعد قوة أنكاثًا.. وتنزل الآي تترى مهدِّدة متوعدة.. فيما يشبه بلغة العصر إعلان حالة الطوارئ القصوى.

من أجل بيت واحد من بيوت المسلمين.. تظلم فيه زوجة مكسورة الجناح: جبرًا لخاطرها.. وكسرًا لغرور زوج يحاول من موقع رجولته أن ينقضَّ على الفريسة وبلا مقاومة!

وكأنما تدمغة الآية الكريمة بهذه الحقيقة:

إذا دعتك قدرتك إلى ظلم الناس.. فتذكر قدرة الله عليك.

لا.. بل قدرة الله على القرى العاتية كلها. والتي أعرضت عن أمر ربها ورسله.. فدمرها الله (عز وجل).. فكانت أثرًا.. بعد أن كانت عينًا..

يقول صاحب الظلال:

(ونقف لحظة أمام التحذير:

فنرى أن الله أخذ القرى: واحدة بعد واحدة. كلما عتتْ عن أمر ربها ورسله.

ونجد أن هذا التحذير يساق هنا بمناسبة الطلاق وأحكامه. فيرتبط الطلاق وحكمه بهذه السنة الكلية. ويوحي هذا الارتباط أن أمر الطلاق ليس أمرَ أسرٍ أو أزواج. وإنما هو أمر الأمة المسلمة كلِّها:

فهي المسئولة عن هذا الأمر. وهي المسئولة عن شريعة الله:

ومخالفتها عن أمر الله فيه.. أو مخالفتها عن أمر الله في غيره من أحكام هذا النظام.. أو هذا المنهج المتكامل للحياة ـ هي: عتو عن أمر الله.. لا يؤاخذ به الأفراد الذين يرتكبونه.

إنما تؤاخذ به القرية أو الأمة التي تقع فيها المخالفة. والتي تنجرف في تنظيم حياتها عن منهج الله وأمره.

فقد جاء هذا الدِّين ليطاع. وليُنفذ كله. وليهيمن على الحياة كلها.. فمن عتا عن أمر الله فيه ـ ولو كان هذا في أحوال الأفراد الشخصية ـ فقد تعرَّض لما تعرضت له القرى من سنة الله التي لا تتخلف أبدًا.

تلك القرى التي ذاقت وبال أمرها. وكان عاقبة أمرها خسرا) أ.هـ.

ولكن هذا التهديد الرعيب يأتي في أوانه: بعد سلسلة من الترغيب.

تودَّد بها الرحمن (سبحانه وتعالى) إلى عباده الخاطئين..

على أنَّ الوعيد نوع من التحذير ببيان ما مضى من العقوبات والمَثُلات.. والجمع بين الوعد والوعيد أسلوب يأخذ بالقلوب.. أملاً في تحقق الوعد وحذر تنفيذ الوعيد.. ليجيء تصرف المدعوين جادًا..

ومجديًا . .

●●●

لقد فصَّل الله (عـز وجل) أحكام الأسرة تفصيلاً . . ثم هو (سـبحانه) يحذر المؤمنين حتى لا يقعوا في مَهواة الضلال:

فكم من قـرى كثـيرة . . وقـوية . . عتت . . وتمردت على أمـر الله . . على وجه التكبر . .

كم من قرية ظالمة ومن ظلمـها أنها لم تكتف بالغـرور . . إعراضًا عن أمر الله . . ولكنها اتخذت خطوة عملية . . فكانت معارضة . . بعد أن كانت مُعْرضة!

وذلك مفهوم من التضمين هنا:

فقد عتت عن أمر ربها: بمعنى أعرضت . .

ثم إنه الإعراض المنتهي بالمعارضة وهو معنى العتوّ . .

●●●

وهذا الغرور النظري «العمليّ» هل له ما يسوغه:

إنها لم تكن عاتية عن أمرٍ قاهرٍ لها أو ظالم . . بل تمردت على أمر من رباها (سبحانه وتعالى) . . والذي تتقلب في نعمه (عز وجل):

وبينما خيـره (تعالى) نازل . . إذا سخطهم إليه سبـحانه طالع! ثم كان من تمام تمردهم أن كـذبوا رسله (تعالى) والذين كـانوا واسطة هذه النعم . . فكان أن دمّر الله عليهم . . ولم تغن عنهم قوّتهم ولا كثرتهم شيئًا.

●●●

وفي ضوء هذا النذير المدمدم . . لا تبرح خيالنا صورة هذا الظالم الذي يتخـذ من الطلاق هوايةً يشبح بها نـزعة التشفـي! . . فليكن على حذر أن

يصيبه مثل ما أصابها!

وإذا كانوا يقـولون ساخـرين: لسعادة الزوجين فـالمطلوب هو زوج لا يسـمع.. وزوجـة لا ترى.. فإننا في ضـوء الآية الكريمة فـي حاجـة إلى زوجة.. وإلى زوج.. يسـمع هذه النذر.. ويتصور هذه الفـواجع.. حتى يتعظ.. قبل أن يكون هو للناس من حوله عبرة وموعظة!

ومما يعينه على الاتعاظ.. ومراجعة الحساب.. ما في الآية من عناصر الردع.. لمن أراد أن يتذكر:

إن القرى الظالمة دمرها الله (تعالى):

وتخيل ناطحات السحاب، والحصون.. وكلَّ ما أبدع البشر من فنون الحمـياة والوقاية.. كـيف تصير.. وبالضـربة القاضيـة رمادًا.. وعلى هذا الزوج المفتون بحـاله ورجاله أن يتصور نفسـه واحدًا من أهل هذه القرية.. وكيف يطيـر هباء لا أترى بالعين المجـردة.. في أتون هذا الخطر الداهم.. والذي يدمر ما في لقرية ومن فيها..

●●●

إنه الحسـاب العسير: لا بالكلام.. وإنما بالزلازل.. والبـراكين وآفات الزرع.. وتحطيم ما صنعت يد الإنسان من عـابرات القارات! وسوف يكون حسابُ الزوج الظالم عسيرًا شديدًا: ومن مظاهر شدته:

أولا: باستقصاء كلِّ ما عملوا.. حتى النّقير والقطمير..

وثانيا: بالمجازاة على كل فعل بما يليق به.. ثم يكون العذاب نُكرًا:

ينكرونه مندهشـين: فلم يروا من قـبل مثله.. ولا قـريبًـا منه..وإذا القرية تذوق وبال أمرها.. الذي صار مرعى وخيمًا ذميمًا:

مرعى: يُمرض.. ولا يشبع

ثم كانت العاقبة على غير ما يشتهي الطغاة:

لقد ظنوا في الدنيا أنهم كسبوا بإعراضهم.. ثم فوجئوا يوم الحساب:

بأنهم ما جنوا إلا الخسر.. نفس الخسر الذي لا ربح فيه أبدًا:

وأينما يولون وجـوههم فثم الخسران المبين بين أيديهم.. جـزاءً وفاقًا:

ومن زرع الشوك لا يجني الورد..

ومن طلّق بلا سـبـب.. فليـأخـذ مكانه في هذا الطـابور الطويل.. الوبيل.

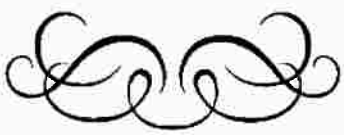

الذين يقتلون القتيل ثم يمشون في جنازته

يقول الله (عز وجل):

﴿ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا قَدْ أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكُمْ ذِكْرًا * رَسُولاً يَتْلُو عَلَيْكُمْ آيَاتِ اللَّهِ مُبَيِّنَاتٍ ﴾ [الطلاق: ١٠، ١١].

قد يحسب الزوج المغرور أنه «على شيء»

ومن هذا الشيء الذي يشد من أزره:

أنه «رجل» وفي استطاعته أن يتزوج الآن مثنى وثلاث ورباع!

وقد يقف «القزم» الضئيل على كومة من المال. فيبدو أطول من هذه التي تبكي على حالها ومآلها؟

ولكن فرحته المغشوشة لا تتم إذا أنصت إلى النُّذُر تهز كيانه.. من خلال الاية الكريمة:

إن لك عذابًا: مُعدًّا.. جاهزًا.. وهو في انتظارك هناك..

(و ما هو كائن. فكان قد)! وعليك أن تترقب ... هذا العذاب من الآن..

وحين يقول (عز وجل) في الآية السابقة:

حاسبناها.. وعذبناها.. بصيغة الماضي.. فإن ذلك يعني:

أنها حُوسبت فعلاً.. وأن عذابها قد نزل وفُرغ منه..

وأنت كذلك محاسب.. معذب من الآن.. وعَهْدنا بالظالم أن يكون متمزقًا.. خائفًا خوفًا يُفقده الإحساس بطعم الحياة..

بينما إحساس المظلوم يصبح مريحًا.. اتكالاً على الله المنتقم الجبار.

ويجيء الأمر بالتقوى.. يتجه اتجاهًا أوليًا إلى هذا الزوج الذي افترى.. والذي يعود من سوق الحياة كأنما لا باع ولا اشترى!

﴿ فَاتَّقُوا اللَّهَ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ الَّذِينَ آمَنُوا ﴾

إن لكم من موانع الانحراف والإجحاف ما يلي:

أولاً: فأنتم أصحاب الألباب.. أصحاب العقول..

ومن شأن الألباب أن تمنع من السقوط في مهاوي الظلم.. ثم إنكم مؤمنون:

وبعهد الإيمان أنتم مأمورون بالعدل في معاملاتكم مع: رفاق الأمس وأحبائه..

إلى جانب أنكم تعملون الصالحات.. فاعملوا صالحًا..

وفي مقدمة ما تعملون: «إنصاف من كنتم تحبون» وإلا فإن عملاً ظالمًا واحدًا.. قد يكون نقطة الخل التي تفسد كل ما تعملون وما تدّعون!

●●●

ومما يحملكم على الإنصاف أن الله (تعالى) قد أنزل إليكم: إليكم بالذات أنزل رسولاً.. ذِكْرا.. نفْس القرآن الذي كان خلقه.. فتمت النعمة بسنته.. وسيرته (ﷺ).. ثم بتلاوة كتابه..

وإذا كان الإنسان يتلقى خطاب القائد بالاعتزاز.. فكيف إذا كانت الرسالة من الملك.. فكيف إذا كانت من ملك الملوك (سبحانه وتعالى)..

ولاحظوا: أنه ذِكْر: شرف لكم..

شرف: ترتفعون إلى مستواه.. لا لمجرد التباهي به..

يقول صاحب التحرير:

(وفي نداء المؤمنين بوصف «أولي الألباب»:

إيماء إلى أن العقول الراجحة تدعوا إلى تقوى الله: لأنها كمالٌ نفساني.

ولأن فوائدها حقيقية ودائمة.

ولأن بها اجتناب المضار في الدنيا والآخرة.

قال (تعالى) ﴿ألا إنَّ أولياءَ اللَّه لا خوفٌ عليهمْ ولا هُمْ يحزنُونَ * الذين آمنُوا وكانُوا يتَّقُونَ﴾ [يونس: ٦٢، ٦٣].

●●●

ومن ثمرات الذكر أنه:

(.. يخرج الذين آمنوا وعملوا الصالحات من الظلمات إلى النور:

من ظلمة الكفر.. إلى نور الإيمان

ومن ظلمة الشبهات.. إلى أنوار الحجة.

ومن ظلمة الجهل.. إلى نور المعرفة.

ومن ظلمة الباطل.. إلى نور الحق.

هذا في الدنيا.. وأما في الآخرة:

﴿ومَن يؤْمِنْ باللَّه ويَعْمَلْ صالحاً يُدْخِلْهُ جنَّاتٍ تجْرِي من تحْتِها الأنْهارُ خالدين فِيها أبَداً قَدْ أحْسَنَ اللَّهُ لَهُ رِزْقاً﴾ [الطلاق: ١١].

وهو رزق واسع واسع.. عظيم عظيم.. عجيب عجيب..

قال القشيري:

«الرزق الحسن: ما كان على حد الكفاية..

لا نقصان فيه يتعطل عن أموره بسببه.

ولا زيادة تشغله عن الاستمتاع بما رُزق.. لحرصه.

وكذلك أرزاق القلوب:

أحسنها أن يكون له من الأحوال ما يستقل بها. . من غير نقصان.

ولا يتعذب بتعطشه.

ولا يكون زيادة. . فيكون على خطر من مغاليط لا يخرج منها إلا بتأييد من الله سماوي».

●●●

ومضيًا مع أخذ المؤمن إلى الحق بمشاعر الرهبة يقول (عز وجل):

﴿ اللَّهُ الَّذي خلقَ سَبْعَ سَمواتٍ ﴾[الطلاق: ١٢].

ومن حكمة ما أشارت إليه الآية الكريمة:

﴿ لتعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قديرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أحاطَ بكُلِّ شَيْءٍ **علْمًا** ﴾[الطلاق: ١٢]

يقول البقاعي:

(لتعلموا بهذا العلم الذي أوجده:

بتسوية كل واحد من القبيلين سبعًا:

كل واحدة: بينها وبين الأخرى مسافة بعيدة. . مع الكثافة الزائدة.

وأنتم تعلمون أنه لا يفصل الجسم ـ ولا سيما الكثيف ـ عن آخر مثله إلا فاصل قاهر: بقوةٍ قاهرة. وقدرة ظاهرة. . وعلم شامل لِما يحتاج إليه ذلك.

فكيف إذا كان هذا المنهاج البديع. والوجه المنيع. على مر الدهور والأحقاب. وتعاقب الشهور والأعوام. . على حسابٍ معلوم. ونظام منظوم لا يدركه إلا أعلم الناس حسابا. وأعظمهم صوابا).

و(سبحان) ﴿ اللَّهُ الَّذي خلق سبْعَ سمواتٍ وَمنَ الأَرْض مثْلَهُنَّ يتَنَزَّلُ **الأَمْرُ بَيْنَهُنَّ** لتعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شيْءٍ قديرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أحاطَ بكُلِّ شَيْءٍ علْمًا ﴾[الطلاق: ١٢]

ليعلم كل الناس.. وبالذات من يحاولون هدم الأسرة القائمة..

أما بعد

فقد كان الفلاح يقول:

فلان «رمَى» على زوجته اليمين..

يريد: لقد أمسك بيده حجرًا.. فرماها به.. دَمَغَها: أصابها في دماغها.. وقلتُ: ولا بأس أن يبكى وهو يفعل فعلته... ويا للرجال بغير دين:

قد يقتلون القتيل.. ثم يمشون في جنازته!!

الزوجة وإنقاذ ما يمكن إنقاذه

١ ـ للزوج في عنق زوجته من الحقوق ما ليس للوالد ولا للأخ.

وما كان لبشر أن يسجد لبشر إلا لله (تعالى).. ولكن.. لو فرض وسجد لبشر لسجدت الزوجة لزوجها من عظم حقه عليها.. ومن حقوقه لديها:

٢ ـ المحافظة على بيت زوجها الذي هو من كده وعرقه.

٣ ـ طاعة زوجها ﴿فَالصَّالِحَاتُ قَانِتَاتٌ حَافِظَاتٌ لِّلْغَيْبِ﴾ [النساء: ٣٤]

٤ ـ لا ترهقه بما لا تتحمله ميزانية البيت.

مع العلم بأن إرهاقه.. وبال عليها.. وعليه معاً فقد يسول له الكسب الحرام.. وهذا ما أدركته الزوجة الصالحة والتي قالت لزوجها يوماً:

إياك وكسب الحرام.. فإنا نصبر على الجوع.. ولا نصبر على النار.

٥ ـ ألا تغادر البيت إلا بإذنه.. لتكون دائماً في شرف استقباله.. وفراراً من الظنون في زمان يبعث على هذه الظنون: يقول (عز وجل): ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ﴾ [الأحزاب: ٣٣].

٦ـ التفاني في خدمة البيت.

٧ ـ معرفة ميوله وما يُحب.. ولا بأس أن تركب معه الموجة فتحب ما يحبه وبهذا تمتص من قلبه بعض أسباب النزاع.

فإذا تأزمت الأمور.. وكان لا بد من الطلاق فللإسلام منهجه الرشيد والذي وضحته سورة الطلاق.

●●●

أما بعد

فقد يحاول المغرضون.. افتعال مشكلات ليس لها وجود إلا في أدمغتهم..

ونسوا أن الله (تعالى) حافظ كتابه.. ودينه. ولو كره المغرضون..

ومما قالوه:

الإسلام يجعل من كلمة واحدة.. فصلاً للمرأة.. وردا عليهم:

يقول الشعراوي:

(كيف دخلتم على كلمة الفراق.. ونسيتم كلمة التلاق؟:

إن التلاقي أيضًا يكون بكلمة وهي: زوجني.. وزوجتك.

فلماذا تستبعدون أن يكون الطلاق بكلمة طلقتك؟!

إنه يدخل الحلال بكلمة..

وإلى الحرمة بكلمة!

ولذلك.. كان لا بد من الدقة في اختيار الزوج.. فرارًا ممن يسيء استغلال هذا السلاح الماضي في العدوان.. وعليها أيضًا أن تكون على غاية الحذر!!

حذر.. الطرفين على سواء:

يقول الإسلام للرجل:

فاظفر بذات الدين تربت يداك.

ويقول لولي الفتاة: «**إذا جاءكم من ترضون دينه فزوجوه. إلا تفعلوا تكن فتنة في الأرض وفساد كبير**».

فإذا تعذر الوفاق:

﴿ فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

ويبقى أن تقول مع المجربين:

(هل يتم الطلاق فعلاص بكلمة واحدة؟ أبدًا!!

فهناك فرصة.. وفرصة..

ثم الثالثة:

إنه يدقق.. تأديبًا للرجل والمرأة على سواء. ولذلك لم يقل القرآن: الطلاق كلمتان..

بل ﴿الطَّلاقُ مَرَّتَانِ﴾ [البقرة: ٢٢٩].

وأخيرًا.. قد يكون الطلاق آخر الدواء..

وهو في موضعه رحمة بالطرفين.. حين تنتهي به.. حياة كلها نكد.. بالجمود؟

ولكن الحل هو: ﴿فَإِمْسَاكٌ بِمَعْرُوفٍ أَوْ تَسْرِيحٌ بِإِحْسَانٍ﴾ [البقرة: ٢٢٩]. أ.هـ. بتصرف.

في مجال التطبيق:

ولقد كان هناك متقون يخافون ربهم ويفعلون ما يؤمرون.

ومنهم ذلك الصوفي.. الذي كان من قدره أن يتزوج من امرأة سيئة الخلق.. فكان يصطبر على نشوزها.

فلما أشفق عليه أصدقاؤه اقترحوا عليه أن يطلقها.. فما كان جوابه إلا أن قال:

(أخشى أن يتزوجها من لا يصبر عليها.. فيتأذى بها).

●●●

ولا تملك إلا الانبهار.. أمام الإيثار..

الإيثار الذي يسقط بين يديه منطق الفلاسفة الكبار.. والذين زعموا

فعل الخير أنانية مقنَّعة!

إن هذا الصوفي: بصفاء قلبه.. قد يكون فلاحًا لا يسمع عنه أحد..

ولكنه بعمله هذا يهز ضمير كل أحد أن يرتفع إلى مستوى الميثاق الغليظ:

بذلاً.. ومددًا.. وعطاء..

إنه لا يتحدث عن الوفاء شعاراً.. وإنما يقدمه شعوراً ملك عليه أقطار نفسه فبرز في الواقع عملاً.. بعد أن كان في قلبه أملا..

●●●

وهو يذكرنا بواحد من رواد مدرسة الإيثار.. والذي أدى فريضة الحج.. ثم وهب ثوابها لمن لم تقبل حجته من أفراد المسلمين..

وليت شعري.. إن الزوجة.. وإن الزوج لأحق بهذا الإيثار.. الذي هو شِرعة الأخيار..

ومن لا خير فيه لرفيقه.. فلا خير فيه لأحد..

«**وخيركم خيركم لأهله.. وأنا خيركم لأهلي**».